عين الطاووس

محمود سالم

عين الطاووس

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عين الطاووس

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٥٩٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أصبح الموقف حَرِجًا!	١١
الآخرون ... مصدر طيب للمعلومات!	١٧
الجميع ... في عربة واحدة!	٢٣
كاميرا سرية ... داخل العيادة!	٢٩
المنجم ... ينهار فوق الشياطين!	٣٥
دكتور «كيد» كان هو بطل الفيلم!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أصبح الموقف حَرِجًا!

عندما خرج الشياطين من قاعة الاجتماعات في المقرِّ السرِّيِّ كانت كلمات رقم «صفر» لا تزال ترنُّ في آذانهم: إنَّ المهمة صعبةٌ، وإنَّ عليهم ألَّا يتأخروا لحظةً، فمثل هذه الأمور الدقيقة، تحتاج إلى عملٍ أكبر … لقد شرح لهم رقم «صفر» في الاجتماع، اختفاء الماس من منجم «كمبرلي» في جنوب أفريقيا، وهو يُعتبر أكبر منجم ماس في العالم، ورغم التفتيش الدقيق الذي يتعرَّض له العمال عند خروجهم إلا أن الماس في النهاية يختفي، حتى كاد منجم «كمبرلي» أن يُصبح بلا إنتاجٍ، ولقد أعلنت الحكومة هناك أن ثروة البلاد تكاد تُصابُ بالعجز الكامل، نتيجة فقْدانها هذا المعدنَ الغالي الثمن، والذي يُشكِّل جزءًا رئيسيًّا من ثروتها …

ورغم الأبحاث الدقيقة، ورغم المراقبات المتصلة، إلَّا أن الحكومة لم تستطع أن تَصِل إلى شيءٍ، غير أن عملاء رقم «صفر» توصَّلوا إلى بداية الخيط: إنَّ عصابة «سادة العالم» قد وصلت إلى هناك، وكانت هذه أول جملة قالها رقم «صفر»: «إن عصابة «سادة العالم» قد وصلت إلى هناك.» ثم بدأ يشرح لهم تاريخَ ظهور الماس في جنوب أفريقيا، وكيف كان له دورٌ هامٌّ في السياسة الاستعمارية التي حاولَت أن تكسب ثقةَ الشعب، حتى تحصلَ على ما تريد، وكيف قامَت حركاتُ التحرُّر الثورية، ولا تزال تقوم في جنوب أفريقيا، منذ بداية الستينات.

كانت آخر كلمات رقم «صفر» للشياطين: «إنكم تعرفون عصابة «سادة العالم» جيدًا، وهذا سوف يُسهِّل مأموريَّتكم، أتمنَّى لكم التوفيق!»

كان هذا أقصر اجتماع عقدَه رقم «صفر» مع الشياطين؛ فلقد كانت المعلومات التي وردَت للمقرِّ السريِّ قليلةً، لكن لأن الأمر خطيرٌ فإنها كانت كافيةً، للبداية، فإن مجرد ظهور عصابة «سادة العالم»، يعني أنها قد دخلَت إلى المنجم في «كمبرلي»، وأنها تُهرِّب

الماس بطريقةٍ أو بأخرى ... وأسرَعَ الشياطين إلى قاعة الاجتماعات الصغرى؛ حيث يعقدون اجتماعاتِهم المحدودة دائمًا، بعد أن يكون رقم «صفر» قد قدَّم لهم كلَّ شيءٍ. وعندما جلسوا، كان «أحمد» هو الوحيد الذي ظلَّ واقفًا، حتى إنهم جميعًا نظروا إليه، لقد كانوا ينتظرون أن يقولَ شيئًا، غير أنه لم ينطق بكلمة، لقد نظر لهم لحظة، ثم قال: سوف أذهب إلى قسم المعلومات لخمس دقائق.

وفي قسم المعلومات، ضغط زرًّا صغيرًا، فأُضيئت شاشةٌ في صدر القاعة الواسعة داخل القسم، وضغط عدةَ أرقامٍ متجاورة، فبدأت المعلومات تظهر على الشاشة، وفي ركنٍ منها ظهرت خريطةٌ لجنوب أفريقيا، حيث تطلُّ على المحيط الهندي في الشرق، وعلى المحيط الأطلنطي في الغرب، وحيث تحدُّها أربع جمهوريات أفريقية في الشمال، هذه الجمهوريات هي: موزمبيق، روديسيا، بتسوانا، ناميبيا، ثم ظهرَت خطوطُ مواصلاتها الجوية التي تربطها ببلاد العالم، وأخيرًا ظهرَت خطوط السكك الحديدية، وكانت تُغطِّي جمهورية جنوب أفريقيا تمامًا ... ظلَّ يَرقُب الخطوط الداخلية، وهو يرسم في ذهنِه حركةَ الشياطين، حتى الوصول إلى إقليم «أورنج»، حيث تقع مناجم «كمبرلي» كانت أقربُ مدينة إلى منطقة المناجم هي مدينة «ماريدال» التي يربطها بالعاصمة «كيب تاون» خطٌّ حديديٌّ ... وفي شريط يبدو كصفحة كتاب، كان يقرأ معلوماتٍ كاملةً عن جنوب أفريقيا. في النهاية، ضغط زرًّا، فاختفت الخريطة، وتوقَّفت المعلومات ...

أطفأ الصالة، وأخذ طريقَه إلى الشياطين، وكانوا لا يزالون في القاعة الصغرى، وعندما دخل كانت «إلهام» تقول: إنَّ قِطَع الماس الصغيرة يمكن أن تخرج من المنجم بسهولة، إنها يمكن أن تختفيَ داخل كعب حذاء مثلًا، أو في جيبٍ سريٍّ في الحزام.

إلَّا أنَّ «عثمان» قال: إنها أصغر من ذلك بكثير، ولا تحتاج إلى هذه الفراغات الكبيرة، ولا أظن أن التفتيش يمكن أن ينسَى مثلَ تلك الألاعيب.

تعلَّقَت أعينُ الشياطين بـ «أحمد» الذي وقف يستمع إليهم، وقال بعد لحظة: إن هذه أساليبُ قديمةٌ للتهريب، وعصابة مثل «سادة العالم» لا تلجأ أبدًا إلى مثل تلك الأساليب، من الضروري أنَّ لها أساليبَ جديدةً، ونحن جرَّبْنا ذلك مرارًا معها! صمَتَ قليلًا ثم قال: الآن، نحتاج إلى تحديد المجموعة التي يجب أن تنطلق بسرعة.

لم يَكَد يُتمُّ جملتَه، حتى جاءَت رسالةٌ من رقم «صفر» تُحدِّد المجموعة التي ضمَّت: «أحمد»، «عثمان»، «قيس»، «فهد»، وعندما قرأ الشياطين الرسالة الشفوية التي ظهرَت

فوق الشاشة في شكل شريطٍ سينمائيٍّ فوق باب القاعة، صمتوا جميعًا، فلم يَعُد هناك مجالٌ للمناقشة، وكان على المجموعة أن تُجهِّز نفسَها حتى تنطلقَ، فليس هناك وقتٌ.

قال «أحمد» في هدوء: إلى اللقاء بعد ربع ساعة. خرج بسرعة، فتحرَّك بقيةُ الشياطين خلفه؛ «عثمان»، و«قيس»، و«فهد».

أسرع «أحمد» إلى حجرته، حيث أخذ يُجهِّز الحقيبة الصغيرة، ويضع في جيوبها السحرية ما يحتاجه من أسلحة يعرفها جيدًا؛ فعصابة «سادة العالم» تحتاج إلى نوعياتٍ خاصةٍ من الأسلحة، وأغلق حقيبتَه في النهاية، ثم وقَف في منتصف الحجرة يُفكِّر قليلًا، فربما يكون قد نَسيَ شيئًا ... تحرَّك بعد قليلٍ، بعد أن تأكَّد أنه حمَل ما يحتاجه بالضبط، ووصل إلى الباب، ولم يَكَدْ يفتحُه حتى أُضيئَت اللوحة الصغيرة فوق الباب ... وقَف، فقد عرَف أن هناك رسالةً من رقم «صفر»، انتظرَ قليلًا، ثم نظر في ساعته. كانت لا تزال هناك خمس دقائق على موعد اللقاء مع بقية المجموعة.

جاءت الرسالة ... وكانت تقول: «انتظر قليلًا، هناك معلومات جديدة في الطريق.»

فعاد وجلس على سريره، في نفس الوقت الذي دقَّ فيه جرسُ التليفون، فرفع السماعة، وكان المتحدث «عثمان»، قال: هل أنت جاهز؟

ردَّ «أحمد»: ينبغي أن ننتظر قليلًا، هناك رسالة من رقم «صفر»، وسوف أُحدِّد لكم موعدَ اللقاء.

وضع السماعة، وتعلَّقَت عيناه باللوحة الصغيرة فوق الباب ومرَّت الدقائق بطيئةً، فشرَدَ يسترجع المعلومات التي قرأها عن جنوب أفريقيا، ويستعيد في ذهنه: طريق الرحلة إلى هناك: إنهم سوف يأخذون الطائرة من القاهرة إلى «نيروبي» في «كينيا»، ثم إلى «جوهانسبرج» في جنوب أفريقيا، ثم بالسكة الحديد إلى «ماريدال» حيث يُصبحون قريبين من «كمبرلي»، وهناك، في مدينة «ماريدال» يبدأ العمل الحقيقي، أضاءَت لمبةٌ حمراء في أعلى اللوحة الصغيرة، فعرَفَ أن الرسالة سوف تَصِلُ بعد لحظاتٍ، واعتدل في جِلْستِه، فقد بدأت الرسالة، كانت الرسالة تقول: «إن طبيب الأسنان «كيد» واحدٌ من عصابة «سادة العالم» وهو يعمل في قرية «فال» القريبة من «كمبرلي» والتي تقع على نهر «فال»، وهو الذي يقوم بتنظيم أعمال أفراد العصابة الذين يعملون في المناجم، غير أنه يعمل مع شركة «جولدن كورن» أو «القمح الذهبي»، التي تقوم باستخراج الماس في «كمبرلي»، وتبعًا لذلك فهو يقوم بعلاج جميع العمَّال العاملين في المناجم هناك ...»ب و«كيد» رجلٌ ضئيلُ الجسم، في الخمسين من عمره، أصلع، يبدو مبتسمًا دائمًا، عيناه لامعتان، تدلَّان على ذكاءٍ خارقٍ.

وهو يُجيد إطلاق الرصاص بدرجة ممتاز، يحمل «الحزام الأسود» في الكاراتيه، ولذلك فهو شخصيةٌ ينبغي أن يُعمَل لها حسابٌ. إن دكتور «كيد» هو مفتاح مغامرتكم، أتمنَّى لكم التوفيق!

انتهَت رسالة رقم «صفر»، فأظلمت اللوحة، وتنفَّس «أحمد» بعمق؛ فقد أصبحت المسألةُ أسهلَ كثيرًا الآن، فرفع سماعة التليفون وتحدَّث إلى «عثمان» قائلًا: لقد وصلَتْني رسالةٌ هامة من رقم «صفر»، اللقاء بعد دقيقة واحدة. ووضع سماعة التليفون، ثم حمل حقيبته وانصرف، وعندما وصل إلى حيث تقف السيارة، كان بقية الشياطين في الانتظار، كان الثلاثة ينظرون إليه في اهتمام؛ فقد كانوا ينتظرون سماع الرسالة، ابتسم «أحمد» قائلًا: في الطريق ستعرفون كلَّ شيء، هيَّا بنا الآن.

استقلُّوا السيارة، وجلس «فهد» أمام عجلة القيادة، وبعد لحظاتٍ كانت الأبواب الصخرية للمقرِّ السريِّ تُفتح في هدوءٍ لتنطلق منها سيارةُ الشياطين إلى الخلاء الرَّحْب. وعندما أُغلقت أبوابُ المقرِّ السري كانت السيارة قد اختفَت عن أعين بقية الشياطين الذين وقفوا يرقبونها، وهي تنطلق بسرعة الصاروخ، كان الشياطين يجلسون داخل السيارة في صمتٍ قطعَه «قيس» بسؤالٍ: هل أعددت خطة الرحلة؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إن الرحلة طيبةٌ، المهم رسالة رقم «صفر». نَقَل لهم «أحمد» الرسالة كما قرأها فوق اللوحة، فقال «فهد» مبتسمًا: إذن، هي مغامرة ممتعة، إنني في حاجة إلى علاج أسناني. ضحك الشياطين لتعليقه ... ضغط «عثمان» على زِرِّ الراديو، فانْسابَت موسيقى هادئة، جعلَتْهم يصمتون، إلا أن «قيس» قال: لماذا فعلتَ ذلك؟

ردَّ «عثمان»: نحتاج إلى بعض الهدوء، فنحن مُقبِلون على سفرٍ طويل.

قيس: لا أظن أنك سوف تقطع المسافة على قدمَيك.

ابتسم الشياطين، ولم يُعلِّق أحدُهم، كانوا يرقبون الطريق الخالي، الممتد تحت أعينهم إلى ما لا نهاية. كانت الساعة تقترب من منتصف النهار، حيث اختفَت ظلالُ الأشياء، فقد أصبحت الشمس عموديةً تمامًا. وعندما كانت الظلال تمتدُّ فوق الأرض، وأشعة الشمس تَخْفِت قليلًا، كان الشياطين قد أصبحوا على مشارف مدينة الإسكندرية، قال «فهد»: هل نقضي الليلة هنا؟

ردَّ «أحمد» بسرعةٍ: لسنا في حاجة إلى ذلك. إننا فقط سوف نستريح قليلًا في المقرِّ السريِّ، ونُجري اتصالًا بالقاهرة، حتى نعرف إن كانت هناك طائراتٌ الليلةَ إلى «نيروبي» ... ثم نُقرِّر.

بعد نصف ساعة، كانت السيارة تقف أمام المقرِّ السريِّ، وأسرع الشياطين بالدخول، واتجه «أحمد» إلى التليفون؛ حيث أجرَى اتصالًا بالقاهرة، وعندما وضع السماعة، نظر إلى الشياطين مبتسمًا، وقال: ينبغي أن نرحَلَ حالًا، إن هناك طائرة إلى «نيروبي» الليلةَ، وقد حجزتُ مقاعدَنا عن طريق عميلنا الذي اتصل به رقم «صفر».

اغتسل الشياطين، وأخذوا طريقهم إلى خارج المقر، وفي لحظاتٍ، كانت سيارتهم تنطلق في الطريق إلى القاهرة، ورغم أن الطريق كان مزدحمًا الليلةَ، إلا أنَّ ذلك لم يجعل الشياطين يتأخرون، كانت هناك سياراتُ نقلٍ متتابعة في طابورٍ طويلٍ، وفي الطريق قال «فهد» فجأةً: إن هناك سيارة تَتْبعنا، وتُعطي إشارةً بالوقوف.

نظر «أحمد» خلفه ثم قال: لا أظنُّ أن أمامنا من الوقت ما يكفي.

رفع «فهد» سرعةَ السيارةِ أكثر، وهو يُعطي إشاراتٍ ضوئيةً للسيارات التي أمامه، حتى تُفسِحَ الطريق، كانت إشاراتُ السيارة التي تَتْبعهم لا تزال تلمَعُ في المِرآة أمام «فهد» غير أنها شيئًا فشيئًا ظلَّت تبتعد حتى اختفَت، فقال: يبدو أننا سوف نَلْقَى بعضَ المتاعب.

سأل «عثمان»: لماذا قلتَ ذلك؟

لم يَكَدْ «عثمان» ينتهي من السؤال، حتى كانت سيارة شرطة تقطع الطريق أمامهم، وهي تُعطي إشاراتٍ ضوئيةً للوقوف. ونظر الشياطين إلى بعضهم، فقال «أحمد»: يجب أن تتوقَّف، إنه في النهاية يحافظ علينا.

توقَّف «فهد» في جانب الطريق، فاقتربَت سيارةُ الشرطة، ونزل منها ضابطٌ شابٌّ، اتجه إلى «فهد» قائلًا: أَعْطني رُخَص السيارة، ورخصة قيادتك أيضًا.

فابتسم «فهد» وقال: يبدو أنني خالفتُ التعليمات، إنني أعتذر!

قال الضابط: أَعْطني الرُّخَص. فمدَّ «فهد» يدَه في تابلوه السيارة، فأخرج الرُّخَص، وقدَّمها إليه، وقرأ الضابط فيها لحظةً، ثم قال: اتْبَعْني إلى القسم.

وفتح «أحمد» الباب، ثم نزل، واتجه إليه قائلًا: مساء الخير يا سيدي!

الضابط: مساء الخير!

أحمد: بالتأكيد، لقد ارتكَبْنا خطأَ السرعة، لكننا لا بدَّ أن نَصِلَ إلى القاهرة في خلال ساعتين من الآن؛ حيث تُقلع الطائرة التي نسافر عليها. ونظر في ساعته ثم قال: إن الطائرة سوف تُقلع في الساعة العاشرة، وإذا لم نلحق بها، فسوف نضطرُّ إلى البقاء أربعة أيام، حتى تطيرَ طائرةٌ أخرى على نفس الطريق.

الضابط: إنني أحافظ عليكم، فهذه السرعة لا تُعرِّضُكم للخطر فقط، بل إنها تُعرِّضُ الطريقَ كلَّه، ينبغي أن تَتْبعوني إلى القسم.

تركَهم الضابط، وانصرف إلى حيث تقف سيارة الشرطة، ونظر الشياطين إلى بعضهم، إن هذه الدقائق التي تمرُّ، تُعطِّل الرحلة، وقد تقضي على كلِّ شيءٍ، وفكَّر «أحمد» بسرعة، ثم أخذ طريقَه إلى حيث سيارة الشرطة، لكن السيارة كانت قد تحرَّكَت ... وأصبح الموقفُ حرجًا تمامًا.

الآخرون ... مصدر طيب للمعلومات!

عاد «أحمد» بسرعة إلى السيارة، وبدأ اتصالًا سريعًا برقم «صفر»، لقد كان يستطيع أن يُقدِّم بطاقتَه إلى الضابط، فينتهي كلُّ شيءٍ، لكنه رفض هذه الفكرة؛ فهو لا يريد أن يكون الشياطين تحت عينِ أحد ... وردَّ رقم «صفر» برسالة، جعلَت الشياطين ينظرون في ساعاتهم، ولم تمضِ خمس دقائق، حتى كانت سيارة الشرطة تعود مرة أخرى، وبها ضابطٌ آخر، أعلى رتبةً، واقترب منهم، وهو يبتسم قائلًا: إن مهمَّتنا هي المحافظة على الطريق، وأظنُّ أنكم توافقون على ذلك. وصمَتَ لحظةً، ثم قال، وهو يمدُّ يدَه بالأوراق: أتمنَّى لكم التوفيق!

شكره «أحمد»، فانطلق «فهد» بالسيارة، وكانت الدقائقُ تمرُّ سريعةً، ووقتُ انطلاق الطائرة يقترب، لكن قبل أن تُقلع الطائرة بربع ساعة، كانت السيارة تقف أمام المطار، وبسرعةٍ قفز الشياطين إلى صالة المطار، ولم يَكَد صوتُ مذيعة المطار يصل إليهم، حتى كانوا يأخذون طريقهم إلى الصالة الداخلية، حيث كان الركاب يتَّجهون إلى الطائرة، وعندما أخذوا أماكنهم تنفَّسوا بعمقٍ، فقد جاءَهم صوتُ المذيعة الداخلية يُحيِّيهم، ويتمنَّى لهم رحلةً طيبةً ... لم تمضِ دقائق، حتى كانت محركات الطائرة قد بدأَت تعمل، فترتجُّ تبعًا لذلك ... لحظات، ثم انطلقت تقطع الممرات الخالية، لتأخذ طريقها إلى الفضاء.

كان الشياطين يجلسون متفرقين في الطائرة. وهذه عادتهم في السفر، فهناك قاعدة يتبعونها: «إن الآخرين مصدرٌ طيِّب للمعلومات» عندما استوَت الطائرة في مسارها وفكُّوا الأحزمة، انسابَت موسيقى هادئة، تملأ فضاء الطائرة.

كان «أحمد» يجلس في المقدمة، حيث جلس بجواره رجلٌ أبيض، يبدو متوسطَ السن، استغرق في النظر من النافذة وكأنه يُفكِّر في شيءٍ هامٍّ، في نفس الوقت كان «عثمان» يجلس

في المنتصف، وقد جلس إلى جواره أفريقيٌّ أسمر، كانت تبدو الطيبةُ على ملامحه، أبيض الشعر، يلبس نظارةً سميكة، نظر إلى «عثمان» في هدوءٍ، وسأله: هل تذهب إلى أفريقيا لأول مرة؟

ابتسم «عثمان» وقال: إنني من السودان، وأسافر كثيرًا.

قال الرجل: يبدو أنك تَهوَى السفر.

أجاب «عثمان»: نعم إنها هوايتي.

الرجل: هل تنزل في الخرطوم؟

عثمان: لا يا سيدي، إنني في الطريق إلى «نيروبي»، إن لديَّ بعضَ الأبحاث الطبيعية أقوم بها على حشرة النمل الأبيض. نظر له الرجل في دهشةٍ، ثم قال: إنها أبحاثٌ طيبة؛ فالنمل الأبيض أحد آفات الزراعة هناك، أتمنَّى أن ألقاك مرة أخرى، فأَسمع منك نتائج أبحاثك.

سأله «عثمان»: هل يذهب سيدي إلى أبعد من «نيروبي»؟

الرجل: نعم، إنني أعمل في تجارة الماس.

اعتدل «عثمان» في جِلْستِه، وبدأ يستمع من الرجل الذي أخذ يتحدَّث عن الماس، وتجارته، وعرَف أنه كان في الهند، حيث تُوجد مناجمُ للمعدن الثمين، أخيرًا قال الرجل: غيرَ أننا نشكو هذه الأيام من كساد تجارتنا؛ فالحصول على الماس أصبح مسألةً شاقة.

سأل «عثمان»: هل هناك سببٌ لذلك؟

الرجل: نعم، يبدو أنَّ احتكاراتٍ جديدةً قد ظهرَت في سوق الماس، حتى إننا لا ندري ماذا نفعل، وفي الشهر القادم لدينا اجتماعٌ لتُجَّار الماس، لمناقشة موقفنا. شرد الرجل قليلًا ثم قال «لعثمان»: إن قارتنا تتعرَّض لغزواتٍ شديدةٍ، سواء في محاصيلها الزراعية، أو المعدنية، ونحن لا نستطيع أن نقف أمام هذه الغزوات مع الأسف.

عندما كان «عثمان» منهمكًا في حديثه مع الرجل، كان «فهد» في حوار آخر مع أوروبي يجلس بجواره، وكان حديثُهما يدور حول اكتشافات البترول في أفريقيا، والاحتمالات الكبيرة لظهوره بوصْف أفريقيا واحدة من أقدم قارات الدنيا.

أما «قيس» فكان يجلس بجوار سيدةٍ عجوز، أسلمَت نفسَها للنوم، فاستغرق في أفكاره، يُفكِّر في مغامرتهم الجديدة لكنه وقَفَ بعد لحظةٍ ينظر في اتجاه «عثمان»، الذي كان لا يزال منهمكًا في حديثه إلى الأفريقي تاجر الماس، كان «عثمان» يسأل: هل يبقَى سيدي في «جوهانسبرج» لفترةٍ طويلة؟

أجاب الرجل: اسمَحْ لي أن أُقدِّمَ لك نفسي إذن، إنني سعيدٌ أنْ ألقَى شابًّا له اهتماماتُك، إنني أُدْعَى «كاماي». وسوف تتحدَّد رحلتي تبعًا للعمل. إن هناك صفقةَ ماسٍ سوف أَعْقدُها، وقد يستغرق ذلك بعضَ الوقت، ورغم أن المسافة بعيدةٌ بين «نيروبي» و«جوهانسبرج»، إلا أنني أدعوك إلى زيارتي، حيث أمتلكُ فيلَّا هناك. وأخرج «كاماي» بطاقةً صغيرة، قدَّمها «لعثمان» الذي أخذها شاكرًا، وهو يقول: إنني أُدْعَى «سعيد»، وسوف يسرُّني تمامًا أن أُلبِّيَ دعوةَ سيدي.

قال «كاماي» مبتسمًا: سوف أكون في انتظارك سعيدًا.

صمتَ الاثنان، فاستغرق «كاماي» في أفكاره، بينما أخذ «عثمان» يستعيد ذلك الحوارَ الطيب الذي دارَ بينهما، وفكَّر أن يُرسلَ رسالةً إلى «أحمد»، إلا أنه لم يفعل.

مرَّ الوقتُ سريعًا، وانقطعَت الموسيقى، فقد أخذ المسافرون يتثاءَبون، كان «أحمد» مستغرقًا في أفكاره، بينما الرجل الأبيض قد غَرِق في النوم، وانتهز «عثمان» فرصةَ نومِ «كاماي» فأرسل رسالةً إلى «أحمد» ... وكان «عثمان» يفكِّر في طريقةٍ يُكمل بها الرحلة، بعد أن قال «لكاماي»: إنه سوف ينزل في «نيروبي»، كانت رسالتُه «لأحمد» تدور حول الحوار الذي حدث، وتلقَّى «أحمد» الرسالة باهتمامٍ، وظلَّ يفكِّر فيها، في النهاية أرسل رسالة إلى «عثمان» قال فيها: «عندما ننزل «نيروبي»، سوف نجد طريقة.» وختم الرسالة بالقاعدة: «إن الآخرين مصدرٌ طيِّبٌ للمعلومات.»

ابتسم «عثمان» عندما تلقَّى الرسالة، ثم أغمض عينَيه، وراح في النوم، وعندما فتح عينَيه، كان «كاماي» يهزُّه برفقٍ وهو يقول: هيَّا أيها الصديق، إننا نقترب من «نيروبي».

ابتسم «عثمان» وقال: يبدو أنني كنت متعبًا، فقد غَرِقتُ في النوم. جاء صوتُ مذيعة الطائرة، يطلب ربطَ الأحزمة، فقد أوشكَت الطائرة على الهبوط.

كان مطار «نيروبي» مُضاءً وكأنه في عزِّ النهار، وعندما لامسَت عجلاتُ الطائرة أرضَ المطار، قال «كاماي»: رحلةٌ طيبةٌ!

ردَّ «عثمان»: أطيبُ ما فيها أنني استمتعتُ بلقاء سيدي.

ربَّت «كاماي» على كتفه، بينما كانت الطائرة تأخذ طريقَها مسرعةً في الممرِّ الأرضي، حتى توقَّفت وأخذ المسافرون يغادرونها في هدوء ... كان النوم لا يزال يغلب معظمَهم، وعلى السُّلَّمِ التقَى الشياطين، وهم يتحدثون بلغة الأعين، كان عليهم أن يبيتوا الليلةَ في فندق المطار، حيث تُقلع الطائرة المتجهة إلى «جوهانسبرج» في الصباح.

أخذوا طريقَهم إلى السيارة التي سوف تُقلُّهم إلى الفندق، وكان «كاماي» يجلس بجوار «عثمان»، فقال: هل تبيتُ الليلة في الفندق؟ وفكَّر «عثمان» بسرعةٍ، ثم قال: نعم، حتى أُجريَ اتصالًا في الصباح مع مجموعة العمل التي سوف أبدأ معها أبحاثَنا، فنحن مجموعة من جامعات مختلفة. هزَّ «كاماي» رأسَه مبتسمًا، ولم يُعلِّق بشيءٍ.

في صالة الفندق، أخذ المسافرون يتوزَّعون على حُجُراتهم، وكان الشياطين ينزلون في حجرةٍ واحدةٍ، وعندما ضمَّتهم الحجرة، عقدوا اجتماعًا سريعًا شرح فيه «عثمان» الحديثَ الذي دار بينه وبين «كاماي»، وأخرج بطاقتَه، فقال «فهد»: إنها فرصة طيبة، فسوف يكون مصدرًا طيبًا للمعلومات. ابتسموا جميعًا، فقال «عثمان»: إن المسألة، هي كيف أُبرِّر وجودي في طائرة الصباح، بينما الرجل يعرف أنني سوف أتخلَّف في «نيروبي».

قال «قيس»: ليست مسألةً شائكةً، لقد التقيتَ بنا، ونحن أصدقاؤك، وفي طريقنا إلى «كيب تاون»، ولقد اتصلتَ أنت بمجموعة العمل التي سوف تعمل معها، فعرفتَ أنها لم تكتمل بعدُ، فقَبِلتَ دعوةَ أصدقائك لقضاء بعض الوقت على ساحل المحيط.

صمت الشياطين، فقال «عثمان»: هي فكرةٌ لا بأس بها، وإن كانت تدعو للتساؤل!

قيس: دَعْه يتساءَل، أنت في النهاية لن تضرَّه بشيءٍ.

ولم يَكَد يُكمل جملتَه، حتى قال «فهد»: إلى النوم أيها السادة، إننا نبدأ مغامرتنا بلقاءٍ طيب.

لم تمضِ لحظة، حتى كان كلٌّ منهم قد استغرق في النوم، وفي الصباح المبكر كان أول الذين استيقظوا «أحمد» الذي فتح النافذة، فغمر الضوءُ الحجرةَ، حتى إنهم جميعًا فتحوا أعينهم؛ فقد دخلَت نسماتُ الصباح الرطبة، وفي ثوانٍ، كان كلٌّ منهم قد أبدل ثيابَه، عندما دقَّ جرسُ التليفون يدعوهم إلى الإفطار، فسوف تتحرك السيارة إلى المطار في خلال نصف ساعة، ونزلوا بسرعةٍ إلى المطعم، حيث يتناولون الإفطار، وما إن دخل «عثمان» حتى كان «كاماي» في مواجهته تمامًا، ابتسم، وأخذ طريقَه إليه: صباح الخير يا سيدي!

كاماي: صباح الخير يا بُني، ماذا فعلت؟

عثمان: سوف أنطلقُ مع بعض الأصدقاء الذين قابلتُهم صدفةً إلى «كيب تاون». وأشار بيده إلى الشياطين ثم أكمل: لقد أجريتُ اتصالًا بمقرِّ مجموعة العمل، وعرفتُ أنهم لم يكتملوا بعدُ، وفي نفس الوقت قابلتُ الأصدقاء، وهم في طريقهم إلى رحلةٍ لقضاء وقتٍ على ساحل المحيط الأطلنطي، فدعوني، وقَبِلتُ الدعوة.

نظر له «كاماي» لحظة، ثم قال: هي إذن فرصة طيبة، حتى أدعوَك لقضاء بعض الوقت. وصمتَ لحظة ثم قال: أصدقاؤك من بلدك؟

عثمان: إنهم من مصر، والكويت، والسعودية.

ظهرت علاماتُ الارتياح على وجه «كاماي»، وقال: إن لي أصدقاءَ في كل بلد منهم، فإنني أورِّد الماس لبعض التجار هناك، هل تدعوهم لأتعرَّف إليهم؟

كانت فرصةً ذهبية، ليكون الأصدقاء بجوار مصدر المعلومات، فقال «عثمان» بسرعةٍ: سوف يُسعدهم ذلك، فقد حدَّثتُهم عنك.

أسرع إلى الشياطين فنقل لهم ما دار، واتجهوا جميعًا إلى حيث يجلس «كاماي»، فقدَّمهم إليه، كان الرجل رقيقًا جدًّا، حتى إن الحديث دارَ بسرعةٍ بين الجميع، ولم يقطعْه غيُر مندوب شركة الطيران: يدعو المسافرين إلى السيارة، فأسرعوا جميعًا، ولم تمضِ دقائق، حتى كانت السيارة تقطع الطريق إلى المطار الذي وصلَتْه بعد نصف ساعة. وعندما استقلوا الطائرة، كان مقعد «عثمان» بجوار «كاماي» الذي ابتسم قائلًا: يبدو أنها سوف تكون صداقةً طويلة. «عثمان»: إنه من حُسْن حظِّي يا سيدي.

أقلعَت الطائرة بعد قليلٍ، وعندما استوَت في طيرانها اقترب «أحمد» منهما، وهو يقول: أعتقدُ أنَّ من حقِّي أمام صداقةٍ وليدة، أن أجلس إلى السيد «كاماي»، فلي بعضُ الحديث معه.

ابتسم «كاماي» وهو يقول: إن ذلك يُسعدني جدًّا؛ فقد كنت في شبابي، أسعى إلى تنمية علاقاتي، إنها مكسبٌ عظيم في حياة الإنسان.

وقف «عثمان» وهو يبتسم قائلًا: إنني سوف أَفتقدُ تلك اللحظاتِ الممتعةَ التي قضيتُها مع السيد «كاماي»، إنه يُمثِّل بالنسبة لي خبرةً طويلة.

ظهرت السعادةُ على وجه «كاماي» أمام تلك الكلمات الرقيقة التي قالها «عثمان»، ثم قال: سوف نجلس في فيلَّتي طويلًا، أمام الطبيعة التي لا مثيلَ لها، إنني لم أُنجِبْ في حياتي وسوف يُسعدني أن أعتبرَكم أبناءً لي.

شكره «عثمان» ثم انصرف، بدأ حديثٌ طويل بين «كاماي» و«أحمد» عن عمَّال المناجم، والعناية بهم، وكيف يَلقَون الإجهادَ والإهمال، والكوارث التي تُصيب العاملين في تلك الأماكن الصعبة. وتحدَّث «كاماي» عن «اتحاد عمَّال المناجم» في جنوب أفريقيا، وتحدَّث عن نظم العمَّال في الهند وفي دول كثيرة من العالم، حتى انتهى حديثُه إلى ذلك اللقاء الذي حدَثَ بينه وبين طبيبٍ من «بلجيكا» مهتمٍّ بحياة عمَّال المناجم، وكيف أن هذا

الطبيب يُنظِّم لهم رعايةً طبِّيةً جيدة، وكيف يُطالب لهم بمميزات يفتقر إليها كثيرٌ من عمَّال المناجم في العالم، وأخيرًا قال: إن هذا الطبيب، يصلح أن يكون رئيسًا لاتحاد عمَّال المناجم العالمي.

لفتَ نظرَ «أحمد» هذا الحديثُ عن الطبيب البلجيكي الذي يتحمَّس له «كاماي»، فسأل: هل هو يُقيم في بلده؟ قال «كاماي» في حماس: لا، لقد هجر بلده إلى جنوب أفريقيا لإيمانه برسالته. فصمت «أحمد» قليلًا، كان يشعر أنه سوف يَصِلُ إلى شيءٍ ما، ولمَعَتْ في ذهنه من جديد القاعدةُ المشهورة بين الشياطين: «إن الآخرين مصدرٌ طيب للمعلومات.» سأل: هل تَلْقَاه كثيرًا؟

كاماي: كلما ذهبتُ إلى «ماريدال».

أحمد: أتمنَّى فعلًا أن ألقاه، ما دام على هذه الدرجة من الإنسانية. وصمتَ قليلًا ثم سأل: ما اسمه؟

قال «كاماي» بسرعةٍ: الدكتور «هام». إنه طبيبُ أسنان، وهو الذي يقوم على رعاية العمَّال.

صمتَ «أحمد» مرةً أخرى، كان ذهنُه يعمل بسرعةٍ لكنَّ سؤالًا تعلَّق في خاطره: هل دكتور «هام»، هو نفسه دكتور «كيد» الذي تحدَّث عنه رقم «صفر»؟

الجميع ... في عربة واحدة!

لاحظَ «كاماي» تلك اللحظةَ السريعة التي فكَّر فيها «أحمد»، فنظر له قليلًا، ثم سأل: ماذا حدث؟

أجاب «أحمد» بسرعةٍ: لقد كنتُ أفكِّر كيف أن طبيبًا من بلجيكا يهتمُّ بعمَّالنا، في نفس الوقت الذي لا نهتمُّ نحن بهم.

ابتسم «كاماي»؛ فقد كانت الإجابةُ ذكيةً بما يكفي، ثم أضاف «كاماي»: دَعْنا من هذا الآن، فإن الاستعمار يفعل الأعاجيب، من أجل قَتْل الوطنيِّين في أيِّ مكانٍ. وصمتَ لحظةً، ثم سأل: مِن أين أنت؟ فأخذ «أحمد» يُحدِّثُه عن مصر، و«كاماي» يُنصِتُ باهتمام. في النهاية قال: أتمنَّى أن أُقيمَ بعضَ الوقت في بلدكم؛ فإننا نعتبرها رمزًا لنهضة أفريقيا كلها، لقد كنت أمرُّ في كثير من رحلاتي إلى الشرق الأوسط بها، لكن ظروفي لم تسمح لي أن أبقَى فيها بعضَ الوقت.

قطع «عثمان» حديثَ الاثنين، عندما أقبل مبتسمًا وهو يقول: يبدو أنني تأخَّرتُ بعضَ الوقت، كان يجب أن آتيَ سريعًا. فعلَّق «كاماي» قائلًا: إن صديقك «رشدي» شخصيةٌ ممتازة، بجوار أنه يتمتع بعقلية جيدة.

أخذ «عثمان» مكانَه بجوار «كاماي»، فاستأذن «أحمد» منصرفًا، وكان السؤال لا يزال يدور في رأسه: هل الدكتور «هام» هو نفسه دكتور «كيد»؟ لو أن هذه حقيقة، فسوف تكون المغامرة ممتعة تمامًا.

أخذ «أحمد» طريقَه إلى كرسيِّه الذي كان يقع قريبًا من مقعد «فهد»، الذي كان قد اشتبك مع شابٍّ في حديث حول كتابٍ يبدو بينهما، ولم يتوقَّف أمام «فهد» وإن كانت أعينُهما قد التقَتْ حول معنًى يفهمانِه جيدًا، وألقَى نفسَه في مقعده، حيث كانت تجلس

فتاةٌ متوسطةُ السنِّ، تنظر من زجاج النافذة، على قُطعان السُّحُب، التي تُشبه القطن، كانت السُّحُب كثيفةً تمامًا، تبدو، وكأنها أكوامٌ من القطن الأبيض، ورفعَت الفتاةُ عينَيها إليه وابتسمَت، فابتسم لها، قالت: هل أنتَ ذاهبٌ إلى «جوهانسبرج»؟

قال: نعم، وقد تمتدُّ الرحلة إلى «كيب تاون».

قالت في بساطةٍ: إنني ذاهبةٌ إلى أبي الذي يعمل في منطقة «أورنج»، حيث تقع مناجم الماس. بسرعةٍ رنَّت القاعدة المشهورة في ذهنه: «إن الآخرين مصدرٌ طيِّبٌ للمعلومات.»

فابتسم، وهو ينظر في أصابعِها وعُنُقِها ثم قال: يبدو أنكِ لا تُحبِّين الماس!

نظرَت له في تساؤل، ثم قالت: ولماذا قلتَ ذلك؟!

أجاب: لأنه لا يبدو في أصابعِك أو عُنُقِك.

صمتَت الفتاةُ قليلًا، ثم قالت: ليس بالضرورة أن أتحلَّى بالماس، ما دام أبي يعمل في منطقته.

أحمد: ماذا يعمل والدُكِ؟

الفتاة: مهندسٌ معماريٌّ، إنهم يبنون هناك مستعمرةً لعمَّال مناجم الماس.

أحمد: هذه أول مرة تذهبين إليها؟

الفتاة: نعم، غير أنَّ أبي هناك منذ شهور.

دارَت أحاديثُ طويلةٌ بينهما عن منطقة «أورنج»، والمدن القريبة، والحياة في جنوب أفريقيا، أخيرًا قالت الفتاة: هل تدعوني لقضاء رحلةٍ معكم إلى «كيب تاون»؟

أحمد: إن ذلك يُسعدُنا جدًّا، لو وافقَ والدُكِ!

الفتاة: سوف يوافق أبي بالتأكيد، فهو طبعًا مشغولٌ بالعمل طوال النهار، وسوف أُعطِّله لو بقيتُ هناك طول الوقت.

عندما صمتَا، كان «أحمد» قد عرَف أن الفتاةَ اسمها «فلاور»، وأن والدها هو المهندس «جان فال»، وهو مهندسُ المشروع، وقد اتفقَا على موعدٍ يلتقي فيه بوالدها، وانقضَى الوقتُ بشكل طيب؛ فقد خرج الشياطين من علاقاتهم داخل الطائرة برصيدٍ جيد من المعلومات، وعندما كانت الطائرة تقترب من مطار «جوهانسبرج»، كان صوتُ المذيعة يُقدِّم بعضَ المعلومات عن المدينة لركاب الطائرة، وأخذ الجميعُ ينظرون إلى المدينة التي كانت تبدو وكأنها «ماكيت» لمدينةٍ سوف تُصوَّر سينمائيًّا.

دارت الطائرةُ دورةً كاملة حولها، ثم بدأت تأخذ طريقَها إلى الممر، حتى لامسَتْ عجلاتُها الأرضَ، فشعر الركاب بذلك، وجرَت في الممرِّ بسرعةٍ، حتى توقَّفتْ في النهاية، وأخذ

الركَّابُ طريقَهم إلى باب النزول، حيث كان سُلَّمُ الطائرة قد التحم بها ... كانت «فلاور» تتقدَّم وخلفها «أحمد»، توقَّفت قليلًا عند بداية السُّلَّم، وهي تنظر إلى التجمُّع القليل الواقف هناك، ثم رفعت يدَها وبدأَت تُشير، وعندما نظرَت خلفها، كان «أحمد» يُراقبها، فابتسمَت قائلةً: «إنه أبي، سوف أُقدِّمك إليه.» نزل المسافرون على مَهَلٍ وأخذوا طريقَهم إلى الخارج ... كان «عثمان» لا يزال يمشي بجوار «كاماي»، بينما كان «فهد» و«قيس» يمشيان معًا.

تجاوزَت «فلاور» البابَ، ثم ألقَت نفسها في حضْنِ أبيها الذي قبَّلَها في مرَح، ونظرت إلى «أحمد»، وقدَّمَته إلى أبيها الذي حيَّاه في قوة، وتقدَّموا إلى الخارج، مع كلماتٍ متناثرةٍ حول الرحلة، وعندما وقفوا عند باب الخروج في انتظار الحقائب، قال «جان فال»: أتمنَّى أن أراك مرة أخرى! ثم قدَّم له رقم التليفون، حتى يستطيعَ الاتصال به، فودَّعهما ونظر حوله يبحث عن الشياطين ... كانوا يقفون حول «كاماي» الذي كان يرقُب «أحمد» مبتسمًا، واقترب منهم، وهو يقول: آسف، فقط كان يجب أن أعرف الرجل. ضحك «كاماي» في مسرح وقال: وهل عرفتَه؟

أحمد: نعم، إنه مهندس مشروع المستعمرة السكانية التي تُبنَى لعمَّال المناجم في منطقة «أورنج». قال «كاماي» في مرحٍ: لا بُدَّ أنه يتبع الدكتور «هام»، فقد حدَّثني في آخر مرة التقَينا فيها، عن المستعمرة.

وصلَت حقائب «كاماي»، فأخذوا طريقَهم إلى الخارج ... قال «كاماي»: إن المواصلات جيدةٌ إلى «ماريدال»، ويقوم قطارٌ كلَّ ساعة تقريبًا من «جوهانسبرج» إلى هناك. ما رأيكم في شيءٍ من الطعام قبل السفر؟ نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «أحمد»: سوف يُسعِدُنا ذلك.

استقلُّوا جميعًا إحدى سيارات الأجرة، فحدَّد «كاماي» مكانًا معينًا للسائق، انطلق على أثرِه إلى هناك، قال «كاماي»: إن هذا المطعم مشهورٌ بأكلاته الشرقية، فأنتم لن تستسيغوا الطعامَ الوطني بسرعةٍ.

في المطعم، طلب الشياطين أن يأكلوا «كباب»، حتى إن «كاماي» ضَحِك وهو يُعلِّق: لقد كنتُ أعرف أنكم سوف تأكلونه. عندما انتهى الطعام، أخذوا طريقهم إلى خارجه، ووقفوا على الرصيف فقال: إن الرحلة سوف تكون طويلة بالقطار، إنها تستغرق يومًا وليلة. توقَّفَت عربة، فاستقلُّوها إلى المحطة ... كانت شوارع «جوهانسبرج» تبدو وكأنها قطعةٌ من أوروبا، كانت نظيفةً تمامًا، يغلب على السائرين في شوارعها الجنسُ الأوروبي، وقلة من الوطنيِّين، حتى إن «فهد» علَّق قائلًا: يبدو أننا أخطأنا المكان.

ابتسم «كاماي» ابتسامةً سريعة، ثم ظهر الأسفُ على وجهه، وقال: نعم مع الأسف، يبدو ذلك، إن الأجانب يملكون البلد أكثر من أهلها، إن الوطنيين معظمهم في العمل الآن، في الوقت الذي يتمتع فيه البيض بنتيجة العمل.

نظر السائق خلفه، وعلَّق قائلًا: متى تنتهي هذه الحفلة الأوروبية؟ لم يُجِب أحدٌ، واستمرَّ السائق في طريقه، عند باب المحطة، توقَّفت السيارة، فغادروها، كانت لا تزال هناك خمس دقائق حتى يتحرك القطار، ظلَّ الشياطين يرقبون المحطة، كانت أوروبيةَ الطراز، تبدو عليها النظافةُ الكاملة، وقال «كاماي»: إن جنوب أفريقيا تتمتع بأكبر شبكة مواصلات للسكك الحديدية في أفريقيا كلها، فهي تُغطِّي كلَّ أقاليمها، ولا يخفى عليكم طبعًا، اهتمامُ الرجل الأوروبي بهذه الشبكة أنها في النهاية تُساعده على نقل ما يحتاجه إلى الموانئ والمطارات ... إنها جزء من استغلاله لنا.

تحَّركوا إلى القطار، الذي بدأ يُرسل صفاراتِه، إنذارًا لموعد التحرك، وعندما جلسوا في أماكنهم تحرَّك القطار ... كانوا يجلسون في بوفيه القطار، أما مقاعد السفر، فقد كانت حجراتِ نوم لكل اثنين، فسوف يبيتون الليلةَ في القطار، وكانت الحجرات الثلاث التي ينزلون فيها متجاورة، ولم يكن أيٌّ منهم يملك الرغبة في الحديث، ولذلك فقد كانوا يشربون الشايَ في هدوءٍ، وقد تعلقت أعينهم بالمناظر الخارجية التي كانت تُتابع بنفس سرعة القطار.

فجأةً، ظهرَت «فلاور» على باب «البوفيه»، وخلفها والدها، وغمز «كاماي» بعينَيه إلى «أحمد» وقال: ها هم أصدقاؤك هل تدعوهم؟

نظر «أحمد» في نفس الاتجاه، فرآها، ابتسمَت له، فوقف يدعوهما فاقتربَا منه، فقدَّمهما لبقية المجموعة، وعندما جلسوا، دار الحوار بين «كاماي» و«جان فال»، وظلَّ الشياطين يستمعون، كان أهمُّ ما سَمِعه الشياطين، ذلك الحديثَ عن الدكتور «هام»؛ فقد عرفوا أن «جان فال» يعمل معه، وأنه الذي يقوم بتنفيذ المستعمرة السكنية لحساب الدكتور «هام»، ولقد صاح «كاماي» فرحًا عندما ذكر «جان فال» ذلك، ونظر إلى «أحمد» قائلًا: ألم أقل لك، إنه رجل نادر!

قال «أحمد» بودٍّ شديدٍ: لقد أصبحت مشوقًا لأن أراه.

هتفَ «جان فال» بسرعة: إنه سوف يكون في المستعمرة بعد غدٍ، حتى يرى ما انتهينا منه.

قال «أحمد»: إنها إذن فرصةٌ طيبة، حتى أتعرَّف عليه ... وصمت لحظةً، ثم أبدَى ملاحظةً ضحكوا عليها جميعًا: أذكر أن هناك قريةً تُسمَّى «فال»، تقع على نهر «فال»، هل السيد «جان فال» على علاقة بتلك الأماكن؟

قال المهندس المفتول العضلات: إنها مجردُ صدفةٍ، ولو كنت أدري لسألت والدي عن سبب تسميته باسم «فال»!

كان الإيقاع المنتظم للقطار يجعلهم يهتزُّون بانتظام، وقامت «فلاور» إلى النافذة تَرقُب تلك المناظر الطبيعية الساحرة التي تجري مسرعةً، وكأنها تفرُّ من شيء يُطاردها فنظر والدها إليها وقال: أخشى أن تُصابي بالملل، فالحياة هنا قاسية نوعًا ما. تذكَّر «أحمد» رغبتَها في مصاحبتهم في الرحلة، لكنه لم يُعلِّق بشيءٍ، وأكمل «جان فال» حديثَه: سوف أتركها تذهب إلى «كيب تاون» بعض الوقت، حتى لا تهربَ مني. ثم ضحك ضحكةً رقيقة.

قال «أحمد»: إنه سوف يُسعدنا أن تصحبَنا في رحلتنا، إننا نفكر في الذهاب إلى هناك.

قال «فال» في هدوءٍ: لقد حدَّثتْني عن ذلك، وسوف أكون سعيدًا، لو تكرَّمتم باصطحابها. نظر «فهد» حولَه لحظةً، ثم قام، آخذًا طريقَه إليها ... حتى وقف معها، ودار حديث بينهما.

كان الآخرون يتابعون منظرَهما، وعلى وجهِ «فال» ابتسامةٌ هادئة وتحدَّث الرجلُ طويلًا عن ابنته، ودراستها، وهواياتها: وكان «أحمد» يُنصت باهتمامٍ ... إن «فلاور» سوف نكون طريقًا طيبًا، للوصول إلى المناجم، دون أن يدعوَ ذلك إلى الشكِّ فيهم. وعندما شردَ بذهنِه عن الحديث الذي كان يُتابعه «عثمان» و«قيس»، كان يستعيد أوصافَ دكتور «كيد»، إنه كما قال رقم «صفر»: ذكيٌّ أصلعُ، في حدود الخمسين، مبتسمٌ دائمًا، يُجيد الرماية، ويحمل لقبًا في ألعاب الكاراتيه. إنه في النهاية شخصية تستحق الصراع.

مرَّ وقتٌ طويلٌ، قبل أن يقف «فال»، وهو يستأذن في الانصراف، بعدها بقليلٍ، أخذوا طريقهم إلى حجراتهم المتجاورة، كان «أحمد» و«قيس» ينزلان في حجرة واحدة، و«عثمان» و«فهد» في حجرة أخرى، بينما كان «كاماي» ينزل بمفرده ... وقال «أحمد» وهو يخلع ثيابه: أظن أننا اختصرنا الكثير من الوقت في هذه المغامرة. أجاب «قيس»: هذا إذا كان الدكتور «هام» هو نفسه دكتور «كيد».

استلقَى كلٌّ منهما على سريره، وشردَ يفكِّر، إلا أن اهتزازَ القطار كان كفيلًا أن يدعوَ النوم إليهما، فاستغرقَا، ولم يستيقظَا إلا في صباح اليوم التالي. وعندما فتح «أحمد» عينَيه، قال: هل استيقظتَ؟

أجاب «قيس»: نعم، منذ دقائق.

ولم تمرَّ دقائق أخرى، حتى كان الشياطين يأخذون طريقَهم إلى قاعة الطعام في القطار، وهناك كان «كاماي» يجلس بمفرده، يحتسي قهوتَه في هدوء، فألقَى الشياطين تحيةَ الصباح، ثم جلسوا، وجاءهم الإفطار، فأخذوا يأكلون في هدوء ... بينما كان «كاماي» يَرْقُبهم في سعادة، وانتهَوا من إفطارهم، وجلسوا صامتين، وابتسم «كاماي» وهو يقول: يبدو أنكم مشغولون بشيءٍ. أجاب «أحمد» بسرعةٍ: إننا لم نُفِقْ من النوم بعدُ. ابتسموا جميعًا لإجابته وأخذ «كاماي» يتحدَّث عن صِباه، عندما كان في سنِّهم، لكنه فجأةً، توقَّف عن الحديث، وصاح: مرحبًا، إن هذه مفاجأة لم أتوقَّعْها!

نظر الشياطين في نفس الاتجاه الذي كان يخاطبه «كاماي» لقد كانت مفاجأةً فعلًا.

كاميرا سرية ... داخل العيادة!

وقف «كاماي» يُرحِّب بالرجل الذي تحدَّث إليه، بينما التقَت أعينُ الشياطين. كانوا يشعرون بالرغبة في الضحك. إنهم في النهاية، داخل عربةٍ واحدة.

قدَّم «كاماي» ضيفَه قائلًا: الدكتور «هام» الذي حدَّثْتُكم عنه. فوقفوا جميعًا يُحيُّون الرجل، فقدَّمهم «كاماي» له، وعندما جلسوا، كان «أحمد» أسرَعهم بالحديث: لقد حدثنا السيد «كاماي» عن جهودك من أجل عمَّال المناجم، كذلك حدثنا المهندس «جان فال» الذي سَعِدْنا بحديثه عن المستعمرة السكنية. وبينما كان «أحمد» مسترسلًا في حديثه، كان «هام» ينظر إليه مبتسمًا، وإن كانت ابتسامتُه تُخفي شيئًا. لاحظَ «أحمد» ذلك، إلا أنه لم يتوقَّف؛ لقد ظلَّ يتحدَّث حتى لا يكشفَ نفسه. وعندما انتهى من حديثه، قال «هام» جملةً قصيرة سريعة: إنهما يُبالغان كثيرًا، ثم التفَت إلى «كاماي» يتحدَّث إليه.

شعَر «أحمد» أنه فعلًا أمام رجلٍ غير عاديٍّ، إلا أنه في نفس الوقت كان يُريد أن يشتبك معه في حديث، حتى يقتربَ منه أكثر. سمع الشياطين الدكتور «هام» يقول: لقد وصلَت المعدَّات فعلًا، وقد انتهينا من المستشفى، وسوف تَصِل هيئة الأطباء والممرضون قريبًا. ودار الحديث بين «هام» و«كاماي» حول العمَّال، وحالتهم، والأمراض الجديدة التي تظهر بينهم. كان حديثًا طويلًا، لكن «هام» كان يتحدث كرجل يفهم ما يفعله جيدًا. في النهاية نظر في ساعته، ثم قال: إن أمامنا نصفَ ساعة حتى نَصِل إلى «ماريدال»، ينبغي أن أُجهِّز أشيائي. ترَكَهم وانصرف، فعلق «كاماي»: إنه رجل شديد الذكاء!

مضَت الدقائق سريعةً، فانصرفوا يُجهِّزون أشياءَهم. وعندما ارتفعت صفارة القطار متتابعةً، متقطعة، عرَف الشياطين أنهم يقتربون من مدينة «ماريدال»، أو يقتربون من لحظة الصدام.

توقَّف القطار في المحطة، كان الناس قليلين على أرصفتها، وكان معظمهم من العمَّال، نزلوا جميعًا، وعلى الرصيف: قال «كاماي»: هل أراكم قريبًا؟

أجاب «عثمان»: بالتأكيد. إنَّ لنا حديثًا طويلًا أمام الطبيعة في الفيلَّا. ضحك «كاماي» ضحكةً رائقة، وقال: إلى اللقاء!

انصرف «كاماي»، ووقف الشياطين يرقبون حركةَ المحطة قليلًا. لقد شاهدوا «هام» وهو يمشي في هدوءٍ وحوله بعضُ الرجال الأشدَّاء. وعلى بُعد، في زحام ليس بالكثير، كان «جان فال» يتقدم هو وابنته «فلاور» التي صاحَت عندما رأَتْهم: هيَّا! هيَّا!

تحرَّكوا إلى الباب، وكانوا يُعطون أنفسَهم فرصةً حتى ينصرفوا دون أن يلفتوا نظرَ أحدٍ ... وعندما التقَوا قالت فلاور: سوف أنتظر محادثتكم التليفونية الليلة، فإنني سوف أُقيم بالمدينة. وانصرفَت «فلاور» مع والدها، وعندما اختفيَا، أخذ الشياطين طريقَهم إلى الشارع الذي تقلُّ حركتُه الآن. فإن معظم سكان المدينة يعملون في المناجم، أو في مصانع المعلبات.

ركبوا تاكسيًا إلى المقرِّ السري، وعندما أصبحوا داخله، كانوا يحتاجون إلى اجتماع سريع، يُرتِّبون فيه حركتَهم المقبلة، وتحدَّث «فهد» في البداية، قال: إن الحظَّ في جانبنا تمامًا. فها هو الدكتور «هام»، أو دكتور «كيد» كما تحدَّث عنه رقم «صفر»، يأتينا بقدَميه بجوار وجود «كاماي» والمهندس «جان فال». إن كل التفاصيل أمامنا، ولا يبقى إلا أن نتحرك في حرصٍ.

وتحدث «قيس»: إن المهمَّ معرفة كيف يختفي الماس عن طريق الدكتور، فلا يكفي أن نلقاه، ولا يكفي أن نعرف أنه من أعضاء عصابة «سادة العالم».

وقال «عثمان»: أعتقد أنها بداية طيِّبة على كل حال.

ظلَّ «أحمد» يستمع إلى كلماتهم وهو ينظر إليهم وفي النهاية قال: إننا نحتاج إلى زيارة عيادة الدكتور «هام» أولًا. ثم زيارة المناجم بعد ذلك. والمسألة تحتاج إلى لعبةٍ ما، فإن زيارتنا لعيادة طبيب، دون استشارةٍ طبية مثلًا، مسألة تدعو إلى الشك، كذلك زيارة المناجم دون أن يصحبَنا أحدٌ، خصوصًا وأننا معروفون له الآن ... وصمت قليلًا.

فسأل «عثمان»: ماذا تقترح إذن؟

ابتسم «أحمد»، وقال: مَن يحتاج منكم إلى علاج أسنانه؟ فنظر الشياطين إلى بعضهم، وابتسم «قيس» قائلًا: إن أسناني لا تزال سليمةً.

وقال «فهد»: لقد حشوتُ أحدَ أضراسي منذ سنوات، ولا أظن أنني أحتاج إلى حشوِه الآن. فقال «أحمد»: هو أنت إذن.

فنظر له «فهد» بدهشة وسأل: ما المطلوب؟

قال «أحمد»: أن تُمثِّل ألمَ الضرس، ثم تذهب إلى هناك.

قال «قيس»: إن السرعة التي تتصرف بها، تجعل الطبيب يشكُّ بالتأكيد. إننا في حاجة لبعض الوقت حتى يمكنَ أن نذهب إلى عيادته. وصمتوا جميعًا، غير أن «أحمد» قال: هذا صحيح. إننا في حاجة لبعض الوقت إذن، علينا بزيارة المناجم زيارةً سريَّة.

قضَوا بقية النهار في زيارة المدينة، وعندما أقبل المساء قال «قيس»: ما رأيكم لو اتصلنا بـ «فلاور». إننا في حاجةٍ إلى صداقتها. وافق الشياطين على الفكرة، فقصدوا أقرب كافيتريا، وجلسوا فيها، في نفس الوقت الذي تحدث «أحمد» إليها بالتليفون.

قالت «فلاور» إنها سوف تقضي الليلةَ مع والدها، وسوف تنتظر مكالمتهم غدًا.

جلس الشياطين بعضَ الوقت، فقال «قيس»: ينبغي أن نستغلَّ الوقت. أقترح أن يذهب اثنان منَّا إلى عيادة الدكتور «هام» لمعرفة المكان جيدًا، ومعرفة مواعيد العمل. إن ذلك يوفر علينا الكثير.

وافق الشياطين، فانصرف «فهد» و«عثمان» للذهاب إلى العيادة. إنها تقع في قرية «فال»، وهي تقع على بُعْد ساعة بالسيارة من «ماريدال»، واتفقوا على اللقاء في المقر السري ... لم يكن أمام «أحمد» و«قيس» إلا أن يبحثَا عن طريقةٍ يقطعان بها الوقت، فاقترح «قيس» أن يبحثَا عن سينما، غير أن «أحمد» لم يكن راغبًا في ذلك. في النهاية ظلَّا يتجولان في شوارع «ماريدال»، وعندما بدأت الشوارع تزدحم بالعمَّال، عرَف «أحمد» أن العمل قد انتهى في المناجم، فأخذَا طريقَهما إلى المقرِّ السرِّي، وجلسَا صامتَين ... ولكن فجأة، تغيَّر الموقف تمامًا لقد دقَّ جرس جهاز الاستقبال في المقر وأسرع «أحمد» يتلقَّى الرسالة التي ينقلها، كانت الرسالة من «فهد»: «على النسور أن تتحرك. نحن محاصران النقطة «د».»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «قيس»، ثم أرسل الرد: «النسور في الطريق.» وفكَّر بسرعة، ثم رفع سماعة التليفون وأدار القرص برقم سري. كان يطلب العميل رقم «صفر» وجاءَه الصوتُ بعد قليل مرحبًا. قال «أحمد»: نريد سيارة. أجاب الطرف الآخر: عند النقطة «ل» بعد ١٠ درجات.

وضع السماعة، ونظر في ساعة يده، وقال بعد لحظةٍ: يجب أن نخرج. إن مكان السيارة ليس بعيدًا.

خرجَا مسرعَين، يقطعان الطريق إلى النقطة «ل»، ثم مضَت الدقائق العشر، وتحت شجرةٍ ضخمة، كانت تقف سيارةٌ سوداء، عرف «أحمد» علامتَها، فاتَّجهَا بسرعةٍ إليها، ثم

انطلقَا بها ... كان الطريق إلى قرية «فال» يبدو خاليًا، وسط صفَّين من الأشجار العالية. كان طريقًا سهلًا نظيفًا، يبدو شاعريًّا مع المساء الذي بدأ يهبط، وفي نصف ساعةٍ كانَا يدخلان القرية المكوَّنة من مجموعة من الأكواخ، لكنهما عندما تقدَّمَا أكثر، وجدَا فيلًّا بيضاء أنيقة، مضاءة إضاءةً كاملة، حتى إنها كانت تُضيء المكانَ حولها.

أبطأ «أحمد» سرعة السيارة، وأرسل رسالةً إلى «فهد»: إننا هنا. فجاءه الردُّ بسرعةٍ: استمرَّ، إننا في الطرف الشمالي. فاستمرَّ في طريقه، وعندما تجاوزَا الفيلَّا بمائتَي متر، بدأت الظلمة تُغطِّي المكان. وعندما خرجَا من القرية عند طرفها الشمالي، كانت الغابة قد بدأت وكانت تبدو موحشةً تمامًا.

لمَعَتْ داخل السيارة لمبةٌ حمراء، فعرَف «أحمد» أن «فهد» و«عثمان»، أمامهما مباشرة، خلف إحدى الأشجار، فأخذَا جانبًا، ثم توقَّفَا. كان الصمت يُغطِّي المكان، ولم يَكُن يسمع صوتًا. مرَّتْ لحظةٌ، ثم سمعَا صفيرًا متقطِّعًا، يعني: اتركَا السيارة وتقدَّمَا. فنفَّذا ما سمعاه وتقدَّمَا قليلًا. وجاء صوت «عثمان»: إننا هنا. تَبِعَا الصوت، وكان «عثمان» و«فهد» يقفان خلف شجرة كافور ضخمة، فقال «عثمان» بسرعة: يوجد بعضهم بالمكان.

توغَّلوا قليلًا داخل الغابة في حذرٍ، وبدأ «فهد» يشرح لهم ما حدث. لقد دخل عيادة الدكتور «هام»، ولم تكن العيادة قد بدأت عملها بعدُ، إنها نفس الفيلَّا البيضاء المضاءة، كان «فهد» و«عثمان» قد اتفقَا على أن يُثبِّت «فهد» كاميرا صغيرة، تعمل تبعًا لجهاز خاص يحمله «فهد»، وعندما يضغط عليه، تبدأ عملية التسجيل، وهي كاميرا يستخدمها الشياطين ... ولقد وضع الكاميرا داخل حجرة الدكتور، في مكان لا يمكن اكتشافه، بجوار أنها بلا صوت، حتى يمكن تسجيل ما يقوم به «هام». وعندما بدأ مغامرة الحجرة، أُضيئت الفيلَّا، لكنه استطاع أن يفلت من إحدى النوافذ، إلا أن أحدهم صاح: كان أحدٌ بالداخل! وبسرعةٍ حدثَت مطاردةٌ، لكن «فهد» استطاع أن يختفيَ داخل الغابة. في نفس الوقت كان عددُ الرجال يتكاثر، وبدأ نوعٌ من الحصار، هم ما زالوا فيه. لكن ليست هذه هي المهمة. إن المهمة الحقيقية، هي كيف يمكن استرداد الكاميرا؟

قال «عثمان»: من الضروري أن تكون هناك حراسةٌ مشددة منذ الليلة. وهذه هي الصعوبة. ولم يَكَد «عثمان» يقول الجملة حتى أشار «أحمد» بالصمت. لقد كانت هناك أصواتُ أقدامٍ تقترب. وظلَّ صوتُ الأقدام يتضح أكثر فأكثر. وتحرَّك الشياطين في هدوءٍ، مبتعدين عن المكان. قطعوا عشر خطوات، ثم فجأةً، دوَّت صيحةٌ، تردَّدت في جنبات الغابة، ونزل ثِقَل هائل فوق كتف «قيس»، حتى إنه سقط على الأرض، كان عملاق أسود قد

سقط هو الآخر مع سقوط «عثمان»، وأسرع «أحمد» في حركة خفيفة بضربة قوية بقدِمه، فطرحه أرضًا مرة أخرى، قبل أن يستقيم في وقفتِه. وفي نفس الوقت، كان قد ظهر أربعة آخرون، اشتبكوا مع الشياطين في معركة رهيبة.

نظر «أحمد» في الظلام الذي بدأ ينكشف. كانت هناك أضواءُ سيارةٍ بعيدة تقترب. ورأى في الضوء «قيس» وهو يسقط على الأرض، ويتابعه عملاقٌ ضخمٌ بخنجرٍ لمع في ضوء السيارة، فطار «أحمد» في اتجاهه، وضربه ضربةً قويةً، فانكفأ على الأرض. في نفس الوقت الذي قفز فيه «قيس»، وهو يأخذ وضع الاستعداد ... أما «عثمان» فقد كان يرقب الموقف، بعد أن أجهز على الرجل الذي وقع في يده.

كان ضوء السيارة قد اقترب تمامًا، وأصبحت المنطقة مضاءة، فقال «أحمد» بسرعة: الانسحاب هو أفضل الطرق الآن. وفي لمح البصر، كان الشياطين يختفون داخل الغابة. إلَّا أن طلقات الرصاص كانت تَتْبعهم، وكأن السماء تُمطر رصاصًا.

المنجم ... ينهار فوق الشياطين!

اختبأ الشياطين خلف إحدى الأشجار الضخمة، يرقبون هذا الهجوم الناري، وكانت السيارة مضاءةً، تكشف أمامهم حركة العصابة. قال «عثمان»: يجب أن نصل إلى سيارتنا. ردَّ «قيس»: من المؤكد أنهم عندها الآن. وأضاف «أحمد»: لا أظن. لقد خبَّأتها خلف شجرة تُخفيها عن أعينهم. بجوار أنها لم تكن في طريقهم.

دارَ الشياطين دورةً واسعة. كانوا يتحركون كالأشباح في سرعة مذهلة، وعندما أصبحوا في اتجاه السيارة أخذوا طريقهم إليها، وتسلَّلوا في هدوء، ولم يكن هناك أحد. أخرج «فهد» نظارته المكبرة، ثم رصد سيارتهم. كانت السيارة خاليةً، قال: إنها فرصةٌ، حتى نتخلص منهم. سوف أزحف إليها، لأنسفها.

ركب الشياطين السيارة، بينما أسرع «فهد» إلى سيارة العصابة. وعندما وصل إليها، كان الشياطين يقتربون بسيارتهم في هدوءٍ، وعلى ضوء سيارة العصابة. أخرج «فهد» شحنةً ناسفة، ثم لصقها في بطن السيارة، وأسرع في اتجاه الشياطين ركب السيارة التي انطلقَت في سرعة. وعندما ابتعدوا بما يكفي، أخرج جهازًا صغيرًا من جيبه، ثم ضغط على أحد أزراره، فدوَّى انفجارٌ رهيب، تردَّد في جنبات الغابة، وسمع صداه في الصمت الذي يلفُّ المكان. وفي جهاز الرادار المثبت في تابلوه السيارة، شاهد الشياطين سيارة العصابة وهي مشتعلةٌ. وبأقصى سرعة، كان «قيس» يقطع القرية الصغيرة، مبتعدًا ومتجهًا إلى «ماريدال». وفي أقل من نصف ساعة، كانوا يدخلون المدينة الهادئة، التي يلفُّها النوم؛ فقد كانت الساعة بعد منتصف الليل، تخلصوا من السيارة بسرعةٍ، فقد تركوها عند النقطة «ل»، في نفس مكانها. وعندما دخلوا المقرَّ السري، أسرع «أحمد» يتصل بعميل رقم «صفر»، ويطلب التخلص من السيارة نهائيًّا. ولم تمضِ ربع ساعة، حتى كانوا يغطُّون في نومٍ عميق ...

لقد كان يومًا مشحونًا بالتوتر والصراع. وهذا ما جعلهم يغرقون في النوم بسرعةٍ. في نفس الوقت، كانوا قد تأكَّدوا أن الصدام قد بدأ، وأن عليهم أن يستعدُّوا لذلك.

عندما استيقظ «أحمد» مبكرًا كعادته، فتح النوافذ فغَرِق المقرُّ في ضوء النهار. وبسرعةٍ كان الشياطين قد استعدُّوا للحركة. تحدَّث «أحمد» في التليفون إلى «فلاور» التي جاء صوتها ملهوفًا. كانت تطلب حضورهم بسرعة؛ لأنها سوف تنطلق بعد قليل، إلى حيث مستعمرة العمال الجديدة في «كمبرلي». رد «أحمد»: أين نجدك؟

قالت «فلاور»: منزل ٩٠ شارع «البحر الأزرق».

ودَّعها، ووضع السماعة، ثم قال بسرعة: يجب أن ننطلق إليها، حتى لا نكونَ موضعَ شك.

أسرعوا بالخروج، واستقلُّوا تاكسيًا. وعندما سمع السائق العنوان انطلق إليه. كانوا يشعرون بالسعادة ... فالظروف في جانبهم. لم يستمرَّ الطريق طويلًا، فقد انحرف السائق شمالًا، ثم توقَّف بعد ثلاثة بيوتٍ. كان رقم ٩٠ يعلوا البيت. وعندما كانوا يغادرون التاكسي، جاءهم صوت «فلاور»: أهلًا بكم. لقد وصلتم في موعدكم. في دقائق كانت «فلاور» تقف بينهم، كانت تلبس بدلة «جينز» زرقاء، وتضع على رأسها قبعةً عريضة. قالت مبتسمةً: لقد رحل أبي منذ ساعتين، وأرسل لي هذه السيارة، حتى تُقلَّنا إلى هناك. أسرعوا إلى السيارة فأخذوا أماكنهم فيها. كانت سيارة من طراز «فورد» القوي، أخذ «عثمان» يتحدث إلى «فلاور» في نفس الوقت، الذي شرد فيه «أحمد» يفكر: إن كمبرلي هي نفسها مكان المناجم. وهي تبعد عن قرية «فال» بحوالي ثلاثين كيلو مترًا. إنها فرصة أخرى طيبة، حتى يمُّروا بجوار الفيلَّا، وليروا ما حدث. ظلَّت السيارة في تقدُّمِها بين ظلال الأشجار، حتى بدأت أكواخ القرية في الظهور كان الجميع صامتين في هذه اللحظة، إلا أن «أحمد» قطع الصمت عامدًا، وهو يسأل السائق: ما اسم هذه القرية؟

أجاب السائق: قرية «فال». حيث توجد عيادة الدكتور «هام» ذلك الرجل الطيب.

سأل «أحمد»: وهذه الأكواخ، هل هي لسكان القرية؟

أجاب السائق: لا. إنها مكانٌ للراحة عندما يمرض أحد العمال، أو يحتاج لبعض الراحة.

فَهِم «قيس» أسئلةَ «أحمد» فعلَّق قائلًا: إنها مكانٌ بديع!

قالت «فلاور»: إننا نستطيع أن نقضيَ عدة أيامٍ هنا.

ظهرت الفيلَّا البيضاء، فقال «فهد»: مبنًى رائعٌ!

فردَّ السائق: إنها عيادة الدكتور «هام».

قال «فهد» يبدو أنه رجل عظيم! أضاف السائق في سعادة: إنه أكثر من عظيم؛ فهو الذي يعالج العمال، ويسهر على راحتهم. والمستعمرة الجديدة التي تُبنَى الآن هو الذي يبنيها من أجل العمال أيضًا.

قال «أحمد»: هل تتوقف قليلًا أمام الفيلَّا. إنها بديعةٌ فعلًا!

توقَّف السائق قريبًا من الفيلَّا. لم يكن هناك شيءٌ غيرُ عاديٍّ. كان المكان هادئًا. قالت «فلاور»: هل ننزل قليلًا، أو نترك ذلك لوقتٍ آخر؟

فكر «أحمد» بسرعة: أظن أننا نستطيع أن نعود في وقتٍ آخر. انطلق السائق إلى «كمبرلي». وبعد حوالي خمس دقائق، صاحت «فلاور»: هل ترون؟ أشارَت في اتجاه الغابة. نظر الشياطين في نفس الاتجاه، كانت هناك سيارة محترقة تمامًا. علَّقت: يبدو أنها احترقَت الآن فقط. لم يُعلِّق أحدٌ من الشياطين بكلمة، واستمرَّت السيارة في طريقها. بعد قليل ظهر نهرُ «فال». نهرٌ صغير هادئ، يُكمل اللوحة الطبيعية البديعة. وعندما كانوا يمرُّون فوقه علَّق «قيس»: إنه يبدو كأنهار الأفلام!

وقال «فهد»: كأنه مرسوم بعناية!

... واستمر الطريق. بينما كان الشياطين يرصدون المكان جيدًا. ثم أخيرًا ظهرت المساكن البيضاء من بعيدٍ. فبدَت وكأنها رسمٌ بديعٌ للوحةٍ ضخمة. قالت «فلاور» بفرح: هذا هو أبي. لم يكن المهندس «فال» قد ظهر، لكنها كانت تعني أن هذه المساكن البيضاء من عمل والدها. ظلُّوا يقتربون، حتى ظهر العمال الذين يعملون في المستعمرة. وتحت مظلة متعددة الألوان، كان يجلس «فال»، يرقب حركة العمل، وما إن سَمِع صوتَ محرِّكِ السيارة حتى التفَتَ إليها. توقَّفت السيارة بالقرب منه، فنزلوا جميعًا. ذهب إليهم «فال» مرحِّبًا بهم، ثم أخذه في جولة داخل المستعمرة. وعندما عادوا، كانت تنتظرهم مفاجأة لقد كان الدكتور «هام» يجلس تحت المظلة ... وكان يبدو هادئًا تمامًا ... وخلفه ... كان يقف رجل تبدو عليه الشراسة. كان يُسدِّد نظراتٍ حادةً إلى «فهد» الذي حاول أن ينشغل عنه. رحَّب بهم «هام»، ومدح «أحمد» ذلك العمل كثيرًا.

استأذن «فال» وانصرف للمرور داخل المستعمرة، وبقيَ الشياطين مع «هام» كان الرجل ينظر إليهم نظراتٍ ذكيةً. تبدو وكأنها تقول: «إنني أفهمكم.» لكن الشياطين كانوا يفكرون في طريقةٍ أخرى لمصادقته. قال «هام»: هل لكم في زيارة أحد المناجم؟

أجاب «أحمد» بسرعةٍ: إنها فرصةٌ طيبة، لو تحقق ذلك.

تقدَّم «هام» واصطحبهم في سيارته «الجيب» إلا أنه قال، قبل أن يصعدوا إلى السيارة: أظن أن على الآنسة «فلاور» أن تبقى؛ فالمناجم صعبةٌ من الداخل. ورغم أن «فلاور» أبدَت رغبتَها في مصاحبة الشياطين، إلا أن كلمات «هام» كانت قاطعةً بما يكفي لأن تتراجع.

انطلقت السيارة «الجيب» في اتجاه «كمبرلي» حيث المناجم، ولم تكن تَبعُد كثيرًا. وعندما وصلوا إلى هناك، وقف أمامهم «هام»، ثم صاح مناديًا أحدَ الرجال: «روك» ... عليك باصطحاب الأصدقاء إلى «عين الطاووس». إنهم يريدون مشاهدة المناجم. صمتَ لحظة ثم قال لهم: إن «عين الطاووس» هي المكان الآمن في المناجم. فهنا يتعرَّض العمال لانهيارات كثيرة، لا أريد أن تتعرضوا لها.

تقدم «روك» أمامهم، فتَبِعوه. كانوا يشعرون أن الموقف ليس طبيعيًّا، وأن هناك شيئًا ما، لكن ذلك لم يجعلهم يتراجعون ... كان عليهم فقط أن يتقدموا في حذرٍ استعدادًا لأي شيءٍ ... قطعوا أكثر من مائتي متر، عندما ظهرت فتحة المنجم. كانت تبدو كنصف دائرة، حتى إن «عثمان» علَّق قائلًا: هذا فم الوحش الذي سوف يأكلنا. لم يُعلِّق أحدٌ بشيء. التفَت «روك» وهو يبتسم ابتسامة غيرَ مريحةٍ، وقال: إنه مضاءٌ جيدًا من الداخل، هيَّا. تقدَّم خطوة إلى الداخل، والتقَت أعين الشياطين بسرعة، ثم تقدَّم «أحمد».

كان المنجَم يبدو مظلمًا في نهايته وإن كانت الإضاءة قوية على جانبَيه. تغيَّرت رائحة الهواء، وبدَا ثقيلًا، حتى إنهم كانوا يتنفسون بصعوبة لكنهم استمروا في تقدمهم، وقال «روك» دون أن يلتفت إليهم: أظن أننا التقينا مرة قبل الآن. كانت هذه الجملة لافتة للنظر، فتوقَّف الشياطين لحظةً سريعة، لكنهم استمروا ... بدأت روائحُ كريهةٌ تَصِل إليهم، وكان الموقف ممتلئًا بالشك.

أعاد «روك» جملتَه بشكلٍ آخر: أمس كنت في عيادة الدكتور «هام» عندما ... ولم يُكمل جملته، لكنه استدار، ونظر إلى «فهد» نظرةً سريعة، وأكمل مبتسمًا: هل تذكر؟ كان يُوجِّه كلمتَه إلى «فهد» الذي قال: هل تتحدَّث إليَّ؟ فاستمرَّ «روك» دون أن يتكلم ... كان واضحًا أن «روك» قد رأى «فهد» أمس، عندما كان في العيادة، وأصبح من الضروري أن يتصرَّف الشياطين بسرعةٍ، فخطَا «فهد» خطواتٍ واسعةً مقتربًا من «روك» الذي شعر بخطواته فالتفت إليه وضحك ضحكةً مرعبة، دوَّت في جنبات المنجم الصامت، الموحش.

قال «فهد»: هل تقصد أننا التقينا قبل الآن؟ وما إن أكمل «فهد» جملتَه، حتى كانت قبضة «روك» قد طارت في الهواء، واصطدمت بوجه «فهد» فتراجع مصطدمًا بالشياطين، وصرخ «روك»: هل تريد أن تخدعني؟

فجأة، ظهر ما لم يكن يتوقعه الشياطين ... أربعة من الرجال الأشدَّاء، خرجوا من فتحات في جوانب المنجم، كانت ملامحهم تنطق بالشر. فتحفَّز الشياطين، بعد أن اعتدل «فهد»، وأصبح واضحًا أنهم مقبلون على معركة رهيبة. ضحك الرجال الأربعة ضحكات خشنة، ترددت في جنبات المنجم، وكأنهم قد دربوا على ذلك. أخذ الشياطين يتراجعون أمامهم، حتى أصبحت ظهورهم في حائط المنجم. لم يكن الرجال يحملون أسلحة من أي نوع. وكان واضحًا أنهم يعتمدون على قوتهم العضلية، في نفس الوقت كان «روك» يقف مراقبًا، وعلى وجهه ابتسامةٌ ساخرة.

توقَّف الرجال في وضع واحد وقال «روك»: لماذا كنت في العيادة أمس؟ لم ينطق «فهد» فأكمل «روك»: إنني أعرف أنك لن تنطق بسهولة، لكنك سوف تنطق بعد قليل ... وما إن انتهى من جملته حتى كان الرجال الأربعة اندفعوا بقوة في اتجاه الشياطين وبدأت المعركة.

أمسك أحدهم بذراع «أحمد» مطوِّحًا به في اتجاه «روك» الذي وقف يضحك، فاصطدم «أحمد» به، في الوقت الذي لم يكن يتوقعه. وكانت هذه فرصة «أحمد» ليتخلص من «روك». فمع اصطدامه به، لكمه لكمةً قوية فسقط على الأرض يصرخ. وقبل أن يتابعه الرجل، كان «أحمد» قد دار على الأرض دورتَين، ثم ضرب الرجلَ ضربةً مزدوجة بكلتا قدمَيه، جعلَته يدور حول نفسه، ثم يصطدم بالحائط فيسقط بلا حَراك.

في نفس الوقت كان بقية الشياطين قد اشتبكوا مع الباقين في معركة حادة ... كان الرجال أقوياء بلا شكٍّ، حتى إن «أحمد» لجأ إلى مسدسه فأخرجه، وأطلق إبرة مخدرة أصابت الرجل المشتبك «بعثمان» فتوقف قليلًا ينظر إلى «أحمد» في بلاهة، ثم سقط على الأرض ... وتوقَّف الرجلان الآخران، ينظران إلى ما حدث في دهشة، ثم تراجعَا في هدوء، عند نفس المكان الذي خرجَا منه ... تابعهما الشياطين، لكن في لمح البصر، كان الرجلان قد اختفيَا، فأسرع الشياطين خلفهم. كان هناك باب صخري قد أغلق المكان الذي اختفيَا فيه. حاول «قيس» أن يتعامل مع الباب، إلا أنه لم يتزحزح من مكانه.

فجأةً، كأن الدنيا قد انقلبت، وكأن المنجم قد بدأ ينهار، وبدأت أتربةٌ كثيرة تصنع تيارًا كثيفًا، حتى إن الشياطين فقدوا القدرة على الرؤية، فقال «أحمد» بسرعةٍ: إنهم يسدُّون الطريق أمامنا. وجرَى في اتجاه الانهيار الذي حدث، فرأى فتحةً ضخمة في السقف تنزل منها الأتربة، التي أخذت تصنع جبلًا يسدُّ الطريق أمامهم. كان تنفسهم قد أصبح صعبًا، نتيجة التراب الذي ملأ المكان فصاح «فهد»: السبيل هو الباب.

أسرعوا في اتجاه الباب الذي اختفى فيه الرجلان، وأخرج «قيس» من جيبه شحنةً ناسفة محدودة القوة، لصقَها عند التحام الباب بجسم المنجم وتراجعوا بسرعة. ضغط

«قيس» جهاز التفجير الصغير الذي يحمله، فدوَّى صوتُ الشحنة الناسفة، وبدأ الباب ينهار. ظهر ضوءٌ خافت، عرفوا أنه ضوء النهار، ولكن فجأة دوَّت رصاصة بجوار «فهد»، وعندما التفَت الشياطين إلى مصدرها، كان «روك» يضغط زناد مسدسه؛ ليُطلق طلقتَه الثانية …

دكتور «كيد» كان هو بطل الفيلم!

كان «أحمد» أسرع من «روك» فقد أطلق طلقةً من مسدسه أصابَته، فسقط على الأرض بلا حَراكٍ. كان الباب قد انهار تمامًا، وظهر سردابٌ طويل، يبدو الضوء في نهايته فأسرعوا بالخروج. كانوا يتقدمون في حذرٍ، وعندما وصلوا إلى نهايته، توقفوا بينما تقدَّم «أحمد» وهو يحمل مسدسه، وألقى نظرةً سريعة على الخارج. كانت منطقةً قاحلة تمامًا، تحدُّها مرتفعات ليست عالية، وأشار إلى الشياطين، فتَبِعوه وأخذوا يصعدون المرتفع الذي قابلهم حتى وصلوا إلى نهايته. لم يكن هناك أحدٌ فتقدموا، وأخرج «قيس» لاقطًا للصوت، وبدأ في استخدامه فلم يسجِّل أيَّ صوت قريب.

أمسك «أحمد» بالبوصلة، وبدأ يعرف الاتجاه. كان عليهم أن يتَّجهوا إلى الشرق. تقدَّموا بسرعةٍ وظلُّوا في طريقهم أكثر من ساعةٍ، قبل أن تظهر المستعمرة بعيدًا.

قال «أحمد»: فرصتنا الآن هي الوصول إلى «فال»، وصمت قليلًا ثم قال: أقصد القرية وليس الرجل.

حددوا اتجاه القرية، وأسرعوا إليها فلم يكن هناك سبيلٌ إلى قطع المسافة إلى قرية «فال» سوى السير. فهذه المنطقة لا تسير داخلها إلا سيارات «هام». إذن لا بُدَّ من مغامرةٍ ما. غيَّروا اتجاههم إلى المستعمرة. كانوا يحاولون الاختفاء، حتى لا تقعَ عينٌ عليهم، ومن بعيدٍ، ظهر رجال يعملون. أخرج «عثمان» نظارته وبدأ يرصد المكان. كانت «فلاور» تجلس مع أبيها، ولم يكن «هام» موجودًا، شرح لهم ما يراه، ثم قال: يبدو أنه ذهب إلى العيادة. ولكنه فجأة أضاف: ها هو «هام» إنه يقترب ومعه بعض الرجال. وظل يستعرض المكان، ثم قال: هناك مجموعة من سيارات النقل، والسيارة الجيب، والسيارة الفورد.

تقدَّم منه «أحمد» فأخذ النظارة، ثم بدأ ينظر خلالها ... أبعدَها عن عينَيه قليلًا، وأخذ يرقُب المسافة، وقال في النهاية: إن بيننا وبينهم حوالي مائتَي متر. إننا نستطيع أن نعرف

كلَّ شيءٍ وبالتفصيل. ثم أخرج من جيبه فراشةً صغيرة، وضغط زرًّا فيها، ثم أطلقها. وظل يرقب الفراشة، وهي تطير في اتجاه الجالسين هناك، حتى توقفت فوق الشمسية. أخرج جهاز الاستقبال، ثم بدأ يستمع ... كان حديث «هام» يبدو واضحًا. وكان يقول: إنني لم أرْتَح لمنظرهم من البداية. يبدو أنهم بعض الأولاد المغامرين. قال «أحمد»: إنه يترك المكان، ويتجه إلى المناجم.

ثم سمع «فال» يقول: إنني لا أفهم بالضبط ماذا تريد منهم. إنهم شبَّان طيبون.

ضغط «أحمد» زرًّا في جهاز الاستقبال، أخذ يرقب المكان هناك فطارَت الفراشة من فوق الشمسية، وأخذَت طريقها إليه، حتى توقفت فوق كتفه، فأخذها ووضعها في جيبه.

قال «فهد»: يجب أن نحصل على سيارةٍ. إنها فرصتنا للوصول إلى العيادة قبل أن يعود «هام».

أضاف «قيس»: المسألة تحتاج إلى لفت نظرٍ، وقدَّم لهم خطَّتَه التي وافقوا عليها مباشرة، وتركهم وابتعد مسرعًا وبعد ربع ساعة، كان يعود.

قال: يجب أن نتصرف بسرعةٍ. وضغط جهاز التفجير، فانطلق صوتٌ هزَّ المكان، وارتفع عامود من الدخان الأخضر في نفس المنطقة التي وضع فيها الشحنة الناسفة، وكانت هذه خطته. راقب «أحمد» المستعمرة، ورأى «فال» و«فلاور» وبعض العمال، يُسرعون إلى منطقة التفجير، فقال «أحمد»: فلنتحرك. وأسرعوا في طريقهم إلى المستعمرة في طريق مخالف، وعندما وصلوا، لم يكن أحد هناك. اقتربوا بسرعة من منطقة السيارات. كانت هناك سيارة «رينو» صغيرة، تختفي بين السيارات الضخمة. ركبوا السيارة، وانطلقوا. كان الوقت حرجًا بالنسبة لهم، وهم لا يريدون أن يدخلوا معركة واسعة، فهي ليست في صالحهم. قطعوا المسافة بسرعة. وعندما ظهرت قرية «فال»، كانوا يستعدون للمواجهة مع أيِّ إنسانٍ. إن هذه هي الخطوة الأخيرة. ظهرت الفيلَّا البيضاء. أوقفوا السيارة وغادروها في هدوءٍ. لم يكن يظهر أحد في المكان. لكنهم تقدَّموا في حذرٍ خشيةَ أن يكون هناك كمينٌ ما. قال «أحمد»: سوف نَرقُب المكان ويدخل «فهد» لاستعادة الكاميرا.

تسلَّل «فهد» في خفة الفهد. قفز من فوق السور المنخفض، ثم اختفى في الداخل. لكن فجأةً، دوَّت طلقةٌ قال «أحمد» على أثرها: إنه كمين!

أسرعوا إلى الفيلَّا. وقفزوا من فوق السور، في نفس الوقت الذي كانت فيه طلقات الرصاص لا تنقطع. كان «فهد» قد كسر إحدى النوافذ فظلت مفتوحة. وعندما تقدم «أحمد» منها دوَّت طلقة بجوار قدمِه فتراجع. فجأة كان رجل يخرج من النافذة طائرًا في الهواء ثم سقط على الأرض. قال «عثمان»: لقد اشتبك «فهد». أعطياني فرصة للدخول.

تعامل «أحمد» و«قيس» بالرصاص مع أفراد العصابة، وقال «قيس»: نحتاج إلى ساتر من الدخان. تراجع هو و«أحمد» بسرعةٍ، حتى ابتعدَا بما يكفي، وأخرج كلٌّ منهما قنبلة دخان، ثم ألقياها في اتجاه نافذة الفيلَّا …

لحظة، ثم انتشر دخانٌ كثيف أحاط الفيلَّا كلها، حتى كادت تختفي. أسرعَا إليها، وقفزَا إلى داخلها كانت هناك معركةٌ بين «فهد» و«عثمان»، وثلاثة من الرجال اشتبك «أحمد» و«قيس»، وأسرع «فهد» إلى حجرة «هام». وعندما عاد، كانت المعركة لا تزال تدور. كان أحدهم يُسدِّد لكمةً إلى وجه «قيس». طار «فهد» وأمسك بذراع الرجل، في قوة، جعلت الرجل يصرخ. في نفس الوقت الذي طار فيه «قيس». في حركة مستقيمة، ليصدم بالرجل، فهوَى إلى الأرض. بينما كان «أحمد» و«عثمان» قد انتهيَا من الرجلين.

أسرعوا جميعًا للخروج من باب الفيلَّا، لكن الباب كان موصدًا. أخرج «عثمان» مسدسه، ثم أطلق طلقةً على قُفْل الباب، فانفتح.

في نفس اللحظة، كان مجموعة من الرجال قد دخلت من النافذة المفتوحة. وعندما أطلُّوا برءوسهم من الباب انهالت طلقات الرصاص. أسرع «قيس» بإلقاء قنبلة دخان، ثم أعقبها بأخرى. ظل الرصاص منهمرًا كالمطر. قال «أحمد»: انسفوا المبنى.

أخرج «قيس» قنبلة يدوية، ثم نزع مسمار الأمان، وألقاها في اتجاه النافذة المفتوحة. دوَّى انفجارُ القنبلة، وتعالَت الصرخات. أسرعوا إلى إحدى حجرات الفيلَّا التي تُطلُّ على الاتجاه الآخر. وفتح «فهد» النافذة، وألقى «قيس» قنبلة دخان أخرى. ومن شدة كثافة الدخان، أسرعوا بالقفز من النافذة لكن فجأة، اصطدم «أحمد» برجل فأطبق عليه. وتخلَّص منه. وكان واضحًا أن هناك مجموعة من الرجال، تُحاول أن تَصِل إليهم من خلال الدخان … ولأنهم لا يرون … خارجه فقد أصبح الموقف شائكًا. صفَّر «أحمد» صفارة فهمها الشياطين، فانبطحوا أرضًا، وأخذوا يزحفون بسرعة مبتعدين عن الفيلَّا، وعن سُحُب الدخان … أخذ الدخان يخفُّ شيئًا فشيئًا، كلما ابتعدوا. وفجأة سمعوا صوت سيارة يتردد في المكان.

قال «عثمان»: يبدو أنهم يحاصروننا. أسرعوا مبتعدين. لكن صوت السيارة كان يطاردهم. اقتربت الغابة. وكانت هذه فرصتهم. وما إن وصلوا إليها، حتى اختفَوا داخلها. ألقَوا أنفسهم تحت شجرة ضخمة ليلتقطوا أنفاسَهم. وقال «أحمد»: إن هذه فرصتنا للاستيلاء على السيارة. إن الطريق طويلٌ، ونحن نحتاج كلَّ دقيقةٍ تمرُّ. أسرعوا في اتجاه صوت السيارة. كانت الحشائش كثيفةً بما يكفي لاختفائهم. وكان صوت السيارة يقترب. قال «أحمد»: فلننتظر. إنهم يأتون إلينا.

انقسموا إلى مجموعتين، اختبأت كلُّ مجموعة خلف شجرة. أخرجوا مسدساتهم واستعدوا. ظهرت السيارة، فقد كان الطريق بجوارهم. أخرج «أحمد» نظارته، ثم أخذ يرقب السيارة التي كانت تقترب بسرعة. قال في هدوء: إنهم أربعة، وهذا يكفي.

ثم صمتَ قليلًا وقال: سوف نجعلهم يقفون، ونُطلق إبرًا مخدِّرة في وقت واحد.

اقتربت السيارة حتى أصبحت أمامهم. صاح «أحمد» صيحةً جعلت الرجال يتلفتون، ثم توقفت السيارة. نظر «أحمد» إلى الشياطين، ثم أشار بيده فانطلقت المسدسات. لم تمرَّ لحظاتٌ، حتى كان الرجال الأربعة يرقدون في السيارة، وهم يغطُّون في النوم، أسرع الشياطين إليهم، فقذفوا بهم خارجها. لحظة، ثم قال «أحمد»: يجب أن نُخفيَهم عن الطريق.

حملوهم إلى الغابة، وألقَوا بهم بين الحشائش، ثم أسرعوا إلى السيارة، وانطلقوا بها. وعندما دخلوا مدينة «ماريدال»، وقبل أن يقتربوا من المقرِّ السري، غادروا السيارة، بعد أن أوقفوها في شارعٍ جانبيٍّ. وفي دقائق، كانوا يدخلون المقرَّ، أسرع «فهد» إلى جهاز العرض الصغير، ثم أخرج شريط «الفيديو» المثبت في الكاميرا السرية، وبدأ العرض. شاهد الشياطين الدكتور «هام» وهو يلبس البالطو الأبيض ... وأحد العمال العامل على الكرسي وأمامه «هام» يُمسك بملقاط، ويفتح فم العامل، ثم يخرج الملقاط بعد لحظة، وهو يُمسك بقطعة لامعة صغيرة. نظر الشياطين لبعضهم في دهشة. بدأَت نفس الحركة تتكرر. يخرج عامل، ويدخل آخر. فيفتح فمه، ويدخل الملقاط، ليخرج بتلك القطعة الصغيرة اللامعة. انتهى الفيلم. وقال «فهد»: إنها خدعةٌ بارعة.

قال «أحمد»: بالتأكيد. لقد قلتُ لكم في البداية، إن عصابة «سادة العالم»، لا تتصرف بطريقة تقليديةٍ. أعادوا عرْضَ الفيلم مرةً أخرى. وقال «أحمد»: يجب أن نُرسل رسالةً إلى رقم صفر.

قام بسرعة إلى جهاز الإرسال، فأرسل رسالةً إلى رقم «صفر»، يشرح فيها كلَّ شيءٍ. وجاءه الردُّ بسرعةٍ: «استمروا. الطيارون سيكونون هناك.»

جلس الشياطين بعض الوقت، فجأةً دقَّ جرس التليفون، وقال المتحدث، وكان عميل رقم «صفر»: «كلُّ شيء جاهز. حدِّدوا الموعد.» وردَّ «أحمد»: سوف نتصل بك.

مرَّت الساعات، حتى جاء آخر النهار. فقال «أحمد» الآن، سوف يبدأ العمل هناك. سوف يعود العمال، ولا يستطيع الدكتور «هام»، أن يتوقَّف. رفع سماعة التليفون وتحدَّث إلى عميل رقم «صفر»: إننا جاهزون.

أجاب العميل: إنه هناك الآن.

أسرع الشياطين بوضع ماكياجهم، حتى لم يَعُد أحدٌ يستطيع أن يتعرَّف عليهم. أخذوا طريقهم إلى قرية «فال» حيث تقع عيادة الدكتور «هام». كانت هناك حركة غير عادية. حرَّاس كثيرون وعمَّال. كانت العيادة تعمل في هذه اللحظة. اقترب «أحمد» من أحد الرجال وسأل: هل الدكتور «هام» موجود؟

نظر له الرجل لحظةً، ثم سأل: لماذا تسأل؟

قال «أحمد»: إنني أحمل له رسالة هامة.

ظل الرجل ينظر إليه ثم قال بعد لحظة: اتبعني.

تبعه «أحمد» حتى دخلَا الفيلَّا، ووصلَا إلى إحدى الحجرات، طرَق الباب، ثم قال: انتظر لحظة. غاب الرجل داخل الحجرة، ثم عاد، وقال: ادخل. اتبعه إلى الداخل. رأى رجلًا أنيقًا يجلس إلى مكتب. نظر له قليلًا ثم سأل: ماذا تريد؟

أجاب: الدكتور.

الرجل: لماذا؟

أحمد: أَحملُ له رسالةً خاصة.

الرجل: رسالة خاصة. مِن مَن؟

انحنى «أحمد» وهمس: من الزعيم.

اضطرب الرجل لحظةً، ثم قال: لقد رحل الدكتور «هام» إلى الزعيم منذ ساعتين.

لم يَكَد يُنهي الرجلُ جملتَه، حتى فُتح باب الحجرة، وظهر الدكتور «هام» كما ظهرت الدهشة على وجه الرجل ... ولم يتحرك «أحمد» من مكانه ... كان «هام» ينظر له مبتسمًا، وقال بعد لحظة: إنني لم أُخطئ. كنت أشكُّ في أنك تقوم بمهمة ما.

ظهر خلف «هام» ضابطُ شرطة، ابتسم، وقال: دكتور «كيد»، طبيب الأسنان المعروف.

تقدَّم الضابط، وشدَّ على يد «أحمد»، ثم اصطُحب الاثنان إلى حجرة الدكتور، حيث كان أحد العمال يجلس على كرسي العمليات. قال الضابط: إنه يشكو من ألم في الضرس.

كان الشياطين قد انضمُّوا إليهم، فابتسموا، أمسك «كيد» بملقاط، ثم أدخله في فم العامل، وأخرج منه قطعة الماس الصغيرة.

التفت إلى «أحمد»، وقال: أليست فكرةً طيبة؟

ابتسم «أحمد» وقال: بالتأكيد.

أضاف «كيد»: لكنك مع الأسف اكتشفتَها!

حيًّا الضابط الشياطين، واقتاد «كيد» إلى الخارج ... وقفوا يشاهدون ما يحدث. لقد كان رجال الشرطة، يقبضون على أعوان دكتور «كيد». وعندما تحركت سيارات الشرطة، كان المهندس «فال» قد وصل ومعه ابنته «فلاور» التي انضمت إلى الشياطين مسرعةً وهي تسأل: ماذا حدث؟!

وضحك الشياطين ... وهم يدعونها إلى رحلة إلى ... «كيب تاون» ...

هنـــداوي